باب المراسلة والمناظرة

شيء حول « تشرتشل »

« بمناسبة ظهور كتاب تشرتشل لمحرر المقتطف »

إن القارىء لا يستطيع أن يفرغ من هذا الكتيب بغير أن يكون قد وقف أمام عبارتين للرجل ومرتقبين له . فاذا تمثلها فقد تجسمت لديه الخطوط الخارجية لهذا الرجل

فاما العبارتان فهما هاتان : « هل طاب لك القتال » يقولها الجندي في الحملة السودانية ، و « هل تجد متعة في القتال » يقولها الجندي في الميدان الغربي في الحرب الماضية . واما الموقفان فهو ما كان من خروجه على زعيم حزبه لمحافظ حين أراد العدول عن مبدأ حرية التجارة ، وانضمامه الى الأحرار و « قلب سترته » ، والآخر هو ما كان من تمثيلة الاسطول قبل أن يصدر المرسوم الملكي بذلك وبغير أن يمنح سلطة من الوزارة

ويحسبني هذان الموقفان ، وتانك الكلمتان لتخطيط هيكل الرجل كما يصوره الكتاب : رجل قتال بكل ما في الكلمة من قوة وعنف ، يتشوق القتال ويتلمس اليه السبل ، وهو بعد ذلك رجل يميل بطبعه الى الرأي الطليق والتفرد بالأمر وحمل مسئوليته كاملة

فأين هذه الصورة من الصورة التي تتجمع لدينا حين نتخيل زعيم أمة تحب ان تقدم نفسها للعالم محبة للسلام كارهة للحرب ، ولا تنشأ تدعو لنفسها بحب الحرية والديمقراطية وكره الطغيان والنظم الفردية ؟ وأين هذه الصورة من الصورة التي تتجمع لدينا حين نقرأ للرجل ونسمع الى حديثه منددا بقوى الشر والظلام ، وسعيها نظم الاستبداد ، ومبشرا بعهد يسود فيه العدل والقانون في علاقات الدول فلا تكون بها حاجة الى امتشاق الحسام لقوي ما يتشجر بينها من خصام ؟ اني أرى في هذه الصورة الاخيرة رجلا خريج البيئة الانكليزية بما فيها من سيادة الشعب ورأي الاغلبية ، وبما فيها من حب الشعب للسلام ، فاذا استثير دخل المعركة بقلب كئيب لانه لم يقبلها الا حين أصبحت السلم شرا منها وأثقل وزنا

ولا أريد أن أقول ان الصورتين تناقض احداهما الاخرى في الواقع . بل انما ادعي أن الصورتين تكمل احداهما الاخرى بما يظهر عليهما من هذا التناقض والتضاد ، ومن تكاملهما يخرج لنا رجل ينبض بالحياة . فاذا نحاول دائما أن نجعل خلق الشخص خالياً من التناقض ، وتصرفاته غير

شعوبة التضاد : ربما لا نكاد نجد رجلاً يتصرف في كل شيء طبقاً لمنطق واحد ان « الطريق » هي كل شيء في دراستنا وتصرفاتنا . ولذا فأنا أجمع الى صورة تشرتشل صفات من شدس وأي الخاصة ، ويتسق الفرد بالأمر مع ذلك ، ومن يطالب السلام وينظر اليه كاعز أمنية لدى البشر ولكنه يهوى المعركة ويطرب لها ويجد فيها الحياة النشطة الجديرة أن تسمى حياة : فهل تراانا نتكلف حين نجمع لرجل هذه الصفات المتباينة في وقت واحد ؟ يفصل في هذا ان نقرن الرجل برجلين عرفهما التاريخ وعرفنا عنهما الكثير ، نجد بينه وبين كل منهما شبهاً كبيراً ، ثم ننظر اليهما معاً ، فنجدهما يتباينان أشد التباين . ولأستدرك فأقول إني لا أريد ان أقول هل تشرشل قرين لهما ، أم هو دونهما ، أم انهُ قد شاركهما ، فهذا كلام يقوله التاريخ بعد أجيال

فيذكرني تشرتشل بابراهام لنكلن حين ألقى نظر الى وقفته الجارة في وجه التحدي ، وهزته بالعاصفة معها تقتلع من شجر وتدمر من حضر ، ثابت الجنان غير مزعزع الايمان . فكذلك فعل لنكلن عندما هدد أهل الجنوب بالانفصال وأخذوا جنوده على غرة ، وأرادوا أن يفرضوا عليه ارادتهم بالقوة ، فصدئذ رسخ كالطود ، وذب عن رأيه وعقيدته ، ولم يقصر في تحدي العاصفة ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ووطن النفس على كثير من الدم والدموع والمحن والعرق وراح يبشر بمبادىء الحرية الفردية واستهجان العبودية والرق وحب السلام . وكان نصير الديمقراطية والحرية . هكذا الرجلان . ولكن مع الفارق : فابراهام قد دخل الحرب بقلب كئيب وفؤاد كسير حين رآها شراً لا بدَّ منهُ ، وهو يحاسب نفسه كل يوم كم قتل من أمته ، ويود لو استطاع انهاء الحرب وقتل الغرائز التي تسوق اليها ، وهو في ذلك صاحب فلسفة بديعة وأفكار سامية ، وليس عجيباً ان نراه يفخر إبان المعركة ، حين يذكر شيئاً عن ماضيه ، بأنهُ قد انخرط في سلك الجنود لمحاربة الهنود الحمر ولكنهُ لحسن الحظ لم يقتل بيدقيته أحداً . فأين هذا الرجل من تشرتشل الذي تطيب له الحرب ويجد متعة في القتال !

وهنا يذكرني تشرتشل بنابليون . وكيف لا أفعل وقد قرأت عنهُ كيف كان ينقطع ساعات طوالاً في إحدى مغارات كورسيكا يقصف بمدفعه النحاسي ويهيىء جيوشاً ويدبر خططاً للهجوم والدفاع ، ثم طالما أقرأ عن تشرتشل قصة طبق الأصل من هذه ؟ وأين الرجل الذي يؤرج الحرب بكل ما في الطاقة من بأس ، وما وهب الله من قوة ، لشبيه بالرجل الذي يستمر في سرجه سبع عشرة ساعة يشرف على ميدان القتال : ينظم البنود ويحفز الجنود . ألا يشبه تشرتشل ابراهام ؟ ألا يشبه كذلك نابليون ؟ ومع ذلك فان لنكلن ونابليون يختلفان أشد الاختلاف . او هكذا يصورهما التاريخ

تشرتشل ولنكلن : كلا الرجلين ترجم انه أحسن التعبير عن افكارهما وارادتهما . ولكن الأول يقاتل مقاتل مقاتل بطبعه ، والآخر مسالم وديع يغرب اخلاقاً من الملائكة

تشرتشل ونابليون : كلا الرجلين فطر على الشغف بالمعركة كأروع ما تكون ، في سبيل غايته ، وكان الأول زعيم أمة في فترة من حياتها ، والآخر قائد جيش

ويجب أن نقرر بأن في تشرتشل دماء الحاكمين بأمرهم كأحر ما تكون الدماء . ولكنه بحكم الظروف يدافع عن قضية الحرية الشخصية والحياة الديمقراطية . والذي كبله في هذا السبيل تقاليد أمته في السلم وهي أمتن من نفسه وأرسخ في عروقها من دمائه الحارة في عروقه ، وتقاليد أمته في الحرب وهي مشجع وحافز لنزعاته النفسية ، ومفرج عن مرجل روحه الثائرة الفائرة . وإذن فليس من الصدق ان تشرتشل لم يتلألأ نجمه الا على أطلال المعارك والاشلاء في الحرب تنزل امته عن أكثر حرياتها وتحصر زعامتها في أيد قليلة ، وان شئت الاحرى في يد واحدة . بينما هو في السلم منبوذ من الأمة مقصي به عن الحكومة

ومن الانصاف للامة الانجليزية انها لم تتخذ على رأسها تشرتشل والسلم وارفة الظل ، لأنه — في اسلم — شذوذ عنها وخروج عليها . ومن الانصاف لها انها قد تخذته على رأسها وقد استحر القتال — فهو — في الحرب — خير معبر عنها . هذه كلمة أرمي بها الى قرارة كتاب الاستاذ فؤاد صروف عن ذلك الرجل الجدير بالتقدير

عبد اللطيف غزالي

أبحاث علم النفس

في التربية والتعليم للاستاذ ادمون عبد النور

هو كتاب أشر بكثير من الفطنة اذ أقدمه لقراء الثقافة عامة وهيئة المدرسين ووزارة المعارف خاصة . وهو مجموعة بحوث قيمة لخمسة وعشرين عالماً ومربياً اميركيًا . نقله الى العربية الاستاذ الفاضل ادمون عبد النور . وقد امتاز هذا الكتاب بدقة البحث ووضوح الغاية بالرغم مما في ترجمة مثل هذا المؤلف من صعاب لكثرة ما جاء فيه من اصطلاحات علمية لم يرد لها ترجمة عربية من قبل. فذلل الاستاذ المترجم كل هذه الصعوبات ووضع لهذه التعبيرات العلمية الفاظاً عربية صحيحة

وهو يبحث في موضوع كان وما يزال مثار الجدل الشديد ومبعث التناقض والاضطراب وهو موضوع معالجة مشكلات التعليم المختلفة . ويعالج علماء الأميركيين مشكلة العاطلين يبحث وافٍ في فصل « التربية هي المقدرة على النمو في المستقبل » . فالطالب الذي يتم سني دراسته ثم يقعد عن العمل لأنه عجز عن التوظف في الحكومة هو مشكلة تعليمية . فتعليمه من أوله كان ناقصاً فاسداً . وكم من المتعلمين العاطلين في بلادنا هم نتيجة سوء التربية والتعليم . وهذه حقيقة أثبتها علماء أمة حديثة تقدمتنا في الرقي والعلم بمراحل . ولقد عنيت الدوائر التعليمية الأميركية عناية خاصة بعلم حفظ الصحة العقلية لأنها رأت بعد البحث الدقيق ان سبب شذوذ

التلاميذ واخفاقهم هو نقص الصحة العقلية. ولا يقصد بذلك حالة الجنون العقلي ولكن سوء التفكير الناجم عن التقر والخطاط المعيشة ومرض اجهاد المنزلية. فرأوا ان السبيل الوحيد الى علاج هذا النقص هو عناية المدرسين بصحة التلامذة العقلية. ويسحب كل بحث من بحوث هذا الكتاب رسوم بيانية لبيان سير التعليم والنسيان، وكفاية تعلم المواد الاجتماعية بالنسبة الى العمر، ومقدار الوعي بالنسبة للثروة وغيرها من البيانات مما يجدر بالمدرس الاطلاع عليه

أما مبحث «التعليم» بقلم العلامة روبرت ديفز فقد كانت له اهمية كبرى في دوائر التعليم الاميركية

ومن أبحاث الكتاب ما يعالج تعليم اللغات وهو بحث مهم بالنسبة الى مدرسي اللغة العربية لأهمية ما جاء فيه من تيسير اللغة للنشء. ويبحث أحد مؤلفي الكتاب في «موضوع توزيع الجهد» فيقرر ان الحفظ المتواصل أياماً معدودة قبل الامتحان مما يخالف مبادىء الدراسة الصحيحة. فهو ليس طريقة فعالة لاكتساب المعارف وتثبيتها. اما الحفظ المنظم في فترات متقطعة موزعة مدى العام المدرسي فهو يتيح لنا فرصة موائمة لكي تنظم ما اكتسبناه وتصل الى أعماقه من غير سأم ولا اجهاد. أما بحث كيفية تحسين التعليم فيه عدة تجارب أجريت في طلبة مدارس مختلفة وفي موضوعات متنوعة ليقرر أيها أجدى لفائدة الطلبة. وأقل ما في هذه التجارب انها تساعد المدرس على تحسين طرق التدريس وأساليبه التعليمية. فالمدرس الذي يكتفي بتعليم الحقائق والمعلومات فقط لن يُكسب تلاميذه فوائد أخرى

وقد فطن أحد علماء النفس الى ضرورة تنمية رغبة المطالعة في نفس النشء، فكتب فيها أبحاثاً مطولة. وهو يعزو نجاح التلميذ في مراحل التعليم الى وفرة المطالعة ونوعها

وأعتقد أن من أهم بحوث هذا الكتاب فصل الفروق الفردية الذي يبحث في حقيقة ما يأتيه الفرد من أعمال في المدرسة أو في وظيفته بصفته فرداً اجتماعيًّا فان هذا لا يتوقف على مستواه في الكفايات العقلية فحسب، بل يتوقف ايضاً على عوامل أخرى منها العوامل الشخصية والصحية والبدنية، فكثيراً ما فسدت العقلية النابهة بسبب صفات سيئة تلصق بالشخصية

وهناك بحث طريف في كيفية تصحيح إجابة الامتحانات وكيف اختلف عدد من المعلمين في تصحيح ورقة واحدة فتفاوتت الدرجات ما بين ٣٠ و٩٨ في المائة. ومن أبحاث هذا الكتاب أسباب العجز في المواد الدراسية وطرق الوقاية والتشخيص والعلاج، والآراء الحديثة في فلسفة التربية، وأثر علم حفظ الصحة العقلية، وكيفية معاملة التلاميذ الشواذ وكلها مزودة بآراء سديدة وعلاجات ناجعة

وأخيراً اهنىء قراء العربية عامة والمشتغلين بالتربية والتعليم خاصة بظهور هذا الكتاب في اللغة العربية. وأشكر للمترجم ما بذل من جهد وعناء في سبيل ترجمة هذا البحث الثمين الذي كانت تفتقر اليه دوائرنا التعليمية

الآنسة أمينة شاكر فهمي

عقيدة اسوالد اشبنجلر

صديقي الفضال الاستاذ رئيس تحرير المقتطف الغراء

بعد التحية والسلام ، قرأت ما كتبهُ الاستاذ علي أدهم ردًّا على كلمتي في يهودية الفيلسوف الألماني أسوالد اشبنجلر في عدد ابريل من مجلتكم الغراء ولكن انحراف صحتي والاشتغال الأخيرة حالت دون ان أكتب اليكم قبل الآن ما بدا لي فيه ، فأرجو منكم التفضل بفسح المجال في العدد المقبل لما يلي ولكم الشكر الجزيل : —

أولاً : أشكر الاستاذ على نشره المصادر التي اعتمد عليها في حكمه بيهودية اشبنجلر بناء على طلبي

ثانياً : حين وصفت اشبنجلر في كلمتي السابقة بدقة التفكير وقوة البصيرة لم أقصد به انكار يهوديته كما فهم الاستاذ بل قصدت به وصفه الحقيقي مبنيًا على الاطلاع التام ودراستي الوافية لفلسفته وأفكاره . وأخالفني ما فهم الاستاذ فاني أعتقد ان الذكاء ، والعبقرية ، والحصافة ، والبصيرة من مواهب الله يمنحها من يشاء من الأفراد سواء كان مسلماً او مسيحيًّا او يهوديًّا او بوذيًّا وليس من محتكرات جنس دون جنس ولا من اختصاصات قبيلة دون قبيلة

اما « باروخ سبينوزا » الذي ذكره الاستاذ فأعرف منزلته في تاريخ الفلسفة واثره في تحول الفكر الانساني ولكنه مع هذا لو قرأ مصنفات اسبينوزا ومصنفات اشبنجلر لوجد بينهما بوناً شاسعاً من حيث جودة الأسلوب ، ودقة التفكير ، وقوة البصيرة وأستقصاء الموضوع ، واسبينوزا لم يصنف في فلسفة التاريخ والثقافة شيئاً ، وفلسفته في الحقيقة تعد الى مدى كبير صدى الفلسفة العربية الاسلامية ، وهو امر اعترف به كبار فلاسفة الغرب ومفكريه أذكر منهم الآن الفيلسوف وندلباند[1] والاستاذ آدم متز[2] ونفس الفيلسوف اشبنجلر[3]

اما تأثر الشاعر الالماني الكبير جوته به ، فلا أنكر ان هذا الرأي يراه بعض الكتاب والمفكرين ولكن بعضهم ينكر ذلك ، وقد قرر اشبنجلر في كتابه « انحطاط الغرب » ان جوته في تصوراته وافكاره كان تلميذاً للفيلسوف الالماني الكبير جوتفريد ولهلم ليبنز Gottfried Wilhelm

---

(١) راجع Windelband : Allgemeine Geschichte der Philosophie Band I, V, S. 484

(٢) راجع A. Mez : Die Renaissance des Islams S. 194

(٣) راجع Untergang des Abendlandes Band II, S. 294, 395

... واننا أزيد عليه انهُ كان نفيذاً للشرق كذلك من تأثره في مصنفه الشهير « الديوان الغربي الشرقي » بالافكار الشرقية وعلى الاخص افكار شعراء ايران وتصوراتهم وأساليبهم ، وفي اشيده الشهير في سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي لم يتمه في حياته ، أكبر شاهد على ذلك

ثالثاً — ان المصادر التي اعتمد عليها الاستاذ في حكمه بيهودية اشبنجلر ليست من القوة بحيث تعطي لنا علماً يقينيًّا فيه لأن هذه المصادر إما يهودية او انكليزية او أميركية ومحاباة الانكليز والاميركيين لليهود بعد انتفاعهم بهم في الحرب الماضية معلومة للجميع ، ومشهودة في سعيهم المستمر لتوطينهم في بلاد العرب . فالحق انهُ لا يسعنا في الحكم في مثل هذه الأمور أن نغض النظر عما للعوامل السياسية الاخيرة والتعصبات الجنسية الحاضرة من التأثير في عالم التصنيف والانتاج العلمي . فنفس عنوان الكتاب « دجال . دجال » أو « ماذا يريد هتلر » يوضح لنا قصد المصنف وروحه ولا سيما في الظروف الحاضرة . والعالم المحب لتنزيه العدل مهما أحاطتهُ الظروف يعز عليه أن يقول قولاً لا يسوغ فيه عن الاسفاف وان يفتقد ولا يتمثل فيه روائع الأدب وان يحيد ولا يتبع فيه الحق

لسنا من منكري اشتراك اليهود في بناء صرح الحضارة الحاضرة مع الأمم حق ولو كان الالمان منهم قبل ربع قرن أو أكثر فان الألمان كانوا يعيشون حينئذٍ في المانيا مع اليهود في غاية الوفاق والمحبة كشعب واحد من عنصر واحد ، ولم تصب وحدتهم بالتصدع الا في الحرب الماضية فذاق اليهود بعدها من آلام الاضطهاد على أيدي الألمان ما ذاقوا

رابعاً — ان مايدفعنا الى الارتياب الشديد في يهودية اشبنجلر بل الى انكارها هو شهادته في مصنفاته على نفسه لأن شهادة اقوال الرجل وآرائه وأعماله على نفسه أقوى وأوثق من شهادة غيره عليه . فهو عاش في المانيا في زمن بلغ اضطهاد اليهود فيه ذروته حيث أنزل بهم أشد النكال وألحق بهم أعظم الضرر وحدث ذلك كله بمرأى ومسمع منه وهو لم يحول ساكن ولم يخفض لهم جناح الرحمة ولا وطَّأ لهم مهاد الرأفة بفكره الجوَّال وقلمه السيَّال ، بل بقي طول أيام حياته أكبر داعٍ الى « الجرمانزم » و « والبروشيانزم » كما يدل عليه جميع مصنفاته حتى رأى في بعضها إن العلاج الوحيد الناجع لما وصل اليه العالم من الوهن والضعف والفوضى والارتباك في جميع نواحي الفكر الانساني وأعماله هو « البروشيانزم » Preussentum

هذا وقد سألت زملائي الاساتذة في الجامعة من الذين عاشوا في المانيا سنين وتخرجوا من معاهدها فأقر من عرفه بأنه لم يكن يهوديًّا

القاهرة السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي